أسرار الصيام في القرآن الكريم

تأليف

عبد المعز خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرســلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يـوم الدين .

وبعد : فهذه لمحات خاطفة استقيتها من « آيات الصيام فى ســورة البقرة التى تبدأ بقول الله « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كمـا كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقــون » الى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » فلا يمكن لمسلم أن يلم بآداب رمضان الا اذا تفهم هذه الآيات ففيها بيان للصوم ومراتبه ووحدة الدين والهدف من الصوم ، وعــلاقة رمضان بالقرآن ، ورحمة الله على عباده فى التخفيف والتيسير ، وأنواع أصحاب الأعذار الذين يباح لهم الافطار وحسن شكر نعمة الله وحســن استقبال العيد بالتكبير والصلة بالله ، واخلاص الدعاء ، ثم اســتقرار البيوت وحسن المعاشرة الزوجية وأن الصوم ليس انفلات أعصاب وهدم أسر ، ونفحات ليلة القدر وقيام الليل وروعة الاعتكاف وأخيرا عدم الاستغلال وأكل الحقوق وظلم الناس ، ومن هنا يكون الصيام هو الذى أراده الاسلام ليربى أمة وينشىء جيلا متحليا بمكارم الأخــلاق متزودا بزاد التقوى .

« ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم »

عبد المعز خطــاب

حقيقة الايمـــان

الايمان يبدأ بالغيبيات أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم ينعكس على الجوارح عملا صالحا ، ومن هنا يقرن الايمـــان بالعمل الصالح فى كثير من المواضع « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » « والعصر ، ان الانســـان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وصور الايمان متعددة منها :

١ ــ حب الله وحب رسوله : فلا يكون هناك شىء أحب منهما سواء تمثل فى مــــال أو ولد أو مصـــلحة ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم (لايؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) وبذلك يتذوق حلاوة الطاعة يقول عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان ، أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبـــه الا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف فى النار) ويقـــول (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لمـــا جئت به) .

٢ ــ **الجهاد بالمـــال والنفس** ليرتقى الانسان فوق ماديات الحيـــاة والتعلق بالشهوات يقول الله تعـــالى « انما المؤمنـــون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » وهذه هى البيعة التى يشترى بها الجنة « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

٣ ـ **التمسك بشريعة الله** والرضا بحكم رسـول الله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون » .

٤ ـ **الثقة فى الله** تتوكل عليه وتستعين به مهما كانت الشدائد ، ولذا امتدح الله أصحاب النبى رغم (جراحات أحد) وخرجوا ثانية الى الجهاد راضين « الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله » ويوم الأحزاب رغـم محاولات المنافقين أن ينفضوا من حول رسول الله ، لكنهم ثبتوا « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم الا ايمانا وتسليما » .

٥ ـ **التسليم بالموت** وانه بأجل « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » ويقول النبى (ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفى أجلها) .

٦ ـ الثقة فى أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

أضـــواء على الصـــوم

هو عبادة كريمة قوامها أن يمتلك الانسان نفسه ، وأن يحكم هواه وأن تكون لديه العزيمة التى يترك بها ما يشتهى فتتحرر الارادة الانسانية.

والصوم تعود على الحرمان الموقوت يدرب المسلم عمليا على الشدائد لقول النبى (حفت الجنة بالمكارة ، وحفت النار بالشهوات) فالصائم يرتفع الا الله ، وأن يكره أن يعود للكفر كما يكره أن يقذف فى النار) ويقـول

والصوم جاء ذكره فى موضع واحد ، بينما ذكرت العبادات فى مواضع مختلفة من القرآن ، وكأنما أراد الله أن ينبه اليه الانسان ، وكل العبادات

تحدد جزاؤها الا الصوم يقول صلى الله عليه وسلم (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها) قال الله تعالى (الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، انه يترك طعامه وشرابه من أجلى ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) والصوم زكاة الجسم يقول صلى الله عليه وسلم (لكل شيء زكاة وزكاة الجسم الصيام) والصيام نصف الصبر والصبر نصف الايمان والله يقول « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ولذا قال النبى لعائشة (داومى قرع باب الجنة) قالت (بماذا يا رسول الله قال (بالجوع) وأوصى به الشباب اذا لم يقدروا على الزواج لأنه يكبح جماح الشهوة (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) أى وقاية ، وفى رواية (فانه أغض البصر وأحصن للفرج) .

ويباهى الله بالصائمين ملائكته (يأيها الشاب التارك شهوته لاجلى المفنى شبابه لى ، أنت عندى كبعض ملائكتى) .

واعتبر الافطار فى رمضان من أكبر الكبائر يقول صلى الله عليه وسلم (من افطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله لم يقض عنه صيام الدهر كله وان صامه) .

وأراد الله بالصوم أن ترتفع النفس عن ضرورات الجسد ، وتتعلم كيف تسيطر على النوازع النفسية وبذلك يمسك عن المحرمات .

والصائم يثبت عظمة نفسه وعلو قدرها وتتيقظ عنده ملكة المراقبة ومجرد الصوم عن الطعام والشراب والشهوة انما هو (الصيام الحيوانى) لأن الحيوان يشارك فى ذلك ، ولكن الجانب الروحى هو الأهم ومن هنا يقول النبى (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) ويستحق الانسان بعدئذ قول الله (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) والا انتكس وانطبق عليه (ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

والصيام بذلك يحرر من سلطان العادة ويقى من الشرور ولذا قال النبى (الصوم جنة) أى وقاية ويعود على الصبر وغض البصر وحفظ الفــرج وصيانة اللســـان .

أنواع الصيام

صوم فرض كصيام رمضان وقضاء أيام الافطار أو الصيام فى الكفارات

صـــوم تطوع (يوم عرفة) لغير الحجــاج أو صيام (يومى الاثنين والخميس أو (ست من شــوال) .

صوم كراهية كصيام يوم الشك ، وصيام يوم الجمعة الا أن تسبقه بيوم أو تلحقه بيوم ، وصيام أيام التشريق .

صوم حرام كصيام يوم العيد ، أو صيام الحائض أو النفساء ، وصيام المرأة تطوعا وزوجها حاضر الا باذنه .

صوم اختيار صوم المريض ان قدر والمسافر اذا لم يرهقه الصوم .

مراتب الصــوم

الأول صوم عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر الى غروب الشمس واطلاق الجوارح فى شهواتها وهذا صيام غير مقبول لقول رسول الله صلى الله عليه وســلم (ليس الصــيام من الطعــام والشراب وانما الصيام من اللغو والرفث) .

الثانى صيام عن الطعام والشراب والشهوة وكف الجوارح عن المآثم وهــذا هو المطلوب .

الثالث صيام الخاصة أن يصوم فوق ماسبق قلبه عن الحقد والحسد والتفكير فى الدنيا وانما ينشغل بذكر الله « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

مبطـــلات الصيام

١ ــ عقدنية الافطار أثناء الصوم لقول النبى (انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه) .

٢ ــ وصول شىء ولو يسير الى الجوف عمـــدا عن طريق الفم أو الاذن أو الأنف .

٣ ــ نزول دم الحيض أو الولادة فى أى وقت يبطل الصيام .

٤ ــ تعمد القىء ولو قليلا لقول النبى (من زرعه القىء فليس عليه قضاء ومن استقاء فليقض) .

٥ ــ الانزال بغير جماع ولو بالتفكير (ماعدا الاحتلام) لأنه خارج عن ارادة الانسان ولقول النبى (رفع القلم عن ثلاث ، عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق ، وعن الصبى حتى يبلغ الحلم) فكل منهم فاقد الوعى .

٦ ــ الردة (أى الارتداد عن الاسلام) .

والجماع أو الأكل أو الشرب عمدا يستوجب (القضاء) أى اعادة اليوم (والكفارة) وهى (اما عتق رقبة) (أو صيام شهرين متتابعين ستين يوما فان أفطر يوما واحدا منها بدون عذر اعاد من جديد (أو اطعام ستين مسكينا) لكل مسكين وجبتان أو مايعادلهما من اوسط مايطعم المفطر .

الصيام والكفارات

الصيام هو العبادة الوحيدة التى تدخل فى الكفارات وقد ورد ذلك فى عدة أمور تارة يبدأ الله بالصوم وتارة يؤخره .

١ — جاء فى كفارة اليمين وقد تأخر فى الترتيب فكفارة اليمين اما (اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم) واما (تحرير رقبة) واما (صيام ثلاثة أيام)

يقول الله « لايؤاخذكم الله فى اللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين ، من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » .

ويقول النبى ميسرا على المسلمين (من حلف على يمين ، فرأى أن غيرها خير منها فليأت الذى هو خير ، وليكفر) .

٢ — **فى كفارة الظهار** : اذا قال الرجل لامرأته (أنت على كظهر أمى) لا يكون طلاقا وانما يسمى (ظهارا) وليس له أن يمسها الا اذا قدم الكفارة تأديبا له حينما وضع أمه موضع الزوجة وقد جاء (الصيام متوسطا فى الترتيب) هنا (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا » .

٣ — **فى كفارة القتل الخطأ** : وجاء الصوم بعد عدم القدرة على تحرير الرقبة ودفع الدية « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله ، الا ان يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » .

٤ ـ **كفارة قتل الصيد فى الحرم** : يقيم الصيد بأغنام ويحدد ذلك رجلان عادلان مسلمان ، فان لم يستطع قدر ثمن الصيد واستبدل به صيام أيام بعدد المساكين الذين يمكن اطعامهم بهذا المـــال « يا أيها الذين آمنـــوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره » .

٥ ـ **كفارة الوقوع فى محظورات الاحرام** والصوم يأتى أولا «واتموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نســـك » .

٦ ـ **كفارة الاستمتاع فى الحج** اى فك الاحرام عقب أداء العمـــرة والبقاء حتى الحج ولا يلتزم بمحظورات الاحرام اما ذبح هدى أو صيام ثلاثة ايام خلال تواجده فى الحج وسبعة ايام بعد عودته لبلده « فاذا أمنتم ، فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام » .

أسرار الكفارات :

أراد الله بالكفارات أن يخرج الانسان من الحرج الذى وقع فيه ورد الحقوق الى أصحابها وتحرير الرقاب واطعام المساكين وانفاق المـــال فى طاعة الله ، ومن الكفارات ما كان يسيرا يتناسب مع الخطأ الذى وقـــع فيه المسلم ومنها ما هو شاق ليحس الانسان بعظم الاثم الذى وقع فيـــه (كالظهار) مثلا فلا يصح أن تضع أمك التى حملتك وارضعتك محل الزوجة فللأم مكانة لا يعلو عليها شىء .

والكفارات دليل على أن الله لا يعامل عباده بالانتقام والجبروت وانما يخلع عليهم من رحمته ويحببهم فى طاعته ، ويضع عنهم أوزارهم . ولو ظل الذنب معلقا لآلم الانسان وأقلق راحته وحرمه الهدوء ولكن بالكفارة يحس كأن حملا ثقيلا قد رفع عن كاهله .

واتخذ الله من الكفارات وسيلة لسد حاجات المجتمع وزيادة روابطه وتأصيل مبدأ التكافل الاجتماعى حتى ينطبق على الأمة تصوير النبى لهـا (مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ، والكفارات فى الاسلام تجعل المـال فى خدمة المحتاجين لا ليدخل فى جيوب السادة أو الأحبـار أو الرهبان كما كانت تباع (صكوك الغفران) .

الصوم عبادة قديمة

عرفته الأمم السابقة تهذيبا وسموا للروح يقول الله تعالى : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

ومن صوره الصيام عن الكلام كما قال الله لمريم « فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما ، فلن أكلم اليوم انسيا » .

ولكن ليس معنى ذلك أن الأوائل لم يعرفوا الصيام الذى نصـومه الآن فكل الأنبياء صاموه يقول الله عن موسى « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة » اجمع المفسرون أن موسى صام الأربعين يوما قبل لقاء الله صياما حقيقيا .

ويقول صلى الله عليه وسلم (خير الصيام صيام أخى داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما) وكان داود يصوم صيامنا .

ويرى بعض العلماء أن صيام رمضان كان مفروضا على أهل الكتاب لكنهم تركوه لـمـا جاء وقت الحر وزادوا بدل الثلاثين يوما الى أربعين ثم الى خمسـين .

ولما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا (هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل) فقال النبى (أنا أولى بموسى منكم) وصامه وشجع المسلمين على صيامه ثم فرض رمضان فخير المسلم وصار صومه تطوعا .

(وفعل كتب) يفيد قوة الفرضية مثل « كتب عليكم القتال » .

وحدة الدين

حرص الاسلام على الالحاح كثيرا الى وحدة الدين ، فهو دين واحد هو الاسلام « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

وكل الأنبياء كانوا مسلمين فهذا نوح يقول لقومه « فان توليتم فما سألتكم من أجر ، ان أجرى الا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين » وابراهيم يقول الله عنه « اذ قال له ربه اسلم ، قال اسلمت لرب العالمين » وموسى يعلن الاسلام « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » حتى فرعون لما أدركه الموت أعلن الاسلام « حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين» وتقول ملكة سبأ « رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » والحواريون أعلنوا الاسلام « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .

والنبى انصف أهل الكتاب « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

واذا كانت قواعد الاسلام خمسا (الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج) فهى فى كل دين (وان اختلفت التفاصيل) .

الصيام والتقوى

يهدف الصوم الى بلوغ التقوى « لعلكم تتقون » والتقوى جماع الخير كله ، ودخلت فى كل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق فهذه آية البر تنبه الى هذه الحقيقة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين » هذه هى العقائد الخمس « وآتى المـــال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة » هـــذه قوام العبادات « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » قوام المعاملات « والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس » قوام الأخلاق وفى النهاية « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

وسأل (عمر بن الخطاب) أبى بن كعب عن التقوى فقـــال أبى (هل مررت بواد فيه شوك) قال عمر (نعم) قال (فماذا فعلت) قال (شـــمرت واجتهدت) حتى لا يصيبه الشوك ، قال أبى (فكذلك التقوى) لأن الانسان يخوض فى شهوات ومحرمات ويجب الحذر .

أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويستحقون الجنة لهم شرطان (الايمان بالله) (ولزوم التقوى) « الا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله » ولزوم التقوى ينجى من الهم والغم ويوسع فى الرزق « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » وللتقوى صور كثيرة منها .

١ ــ لزوم الصدق « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين »

٢ ــ ولزوم العدل ولو مع الخصوم « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولايجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » .

٣ ــ وهى ضد الفجور « ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

٤ ــ ضبط اللسان عن فاحش القول والجدل الذى يؤدى الى الشقاق «الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ، ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الالباب » .

٥ ــ تعظيم شعائر الله وتطبيق شرائعه « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » .

وللتقوى نتائج طيبة

١ ــ فهى نور الطريق للحائرين « ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله ، يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم »

٢ ــ وهى طريق الى الفوز برضوان الله وجنته « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ، فأولئك هم الفائزون » .

٣ ــ ولن يدخل الجنة الا تقى «تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا»

٤ ــ ولا ينجو من النار الا تقى « وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » .

٥ ــ ويفتح الله بها أبواب رحمته وبركاته « ولو أن أهل القوى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون » ولقد أوصى الله عباده أن يلزموا التقوى حتى الموت فلا يدرى أحد متى ينزل به «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

ودائما تذكر التقوى بالآخرة ، فمن انتبه نجا وفاز بالجنة ومن حاد عنها خسر وخاب « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون ، ولاتكـونوا كالذين نسوا الله فانسـاهم انفسهم أولئك هم الفاسقون ، لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » .

واذا كان من صفات المتقين (الانفاق فى سبيل الله) (وضبط الأعصاب) (والعفو عن مقدرة) فان الله أضاف الى هؤلاء (المخطئين الذين عادوا سريعا لمولاهم وندموا واخلصوا التوبة فألحقهم الله بالصالحين) «وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الـذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهـم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهـار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

الصـوم والزمن

يقول الله «أياما معدودات » ويقول « فمن شهد منكم الشهر فليصمه» اى رأى الهلال ويقول «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » .

والعبادات ترتبط بالزمن لأنه الوعاء الذى يتخلق فيه الأشياء فالصلاة بوقت « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » والزكاة بوقت « وآتوا حقه يوم حصاده » والصوم بوقت والحج بوقت « الحج أشهر معلومات» والله أقسم بكل جزئيات الزمن أقسم (بالعصر) (بالليل) (بالنهـار) (بالضحى) (بالشفق) ونبه الى تتابع الليل والنهار « وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد أن يذكر أو أراد شكورا» ومزج تسبيحه وحمده بعناصر

الزمن لينشغل الانسان كل وقته وليظل قلبه حيا « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون»

وليس عمرك بما قضيت من سنوات وانما عمرك بما اديت من طاعات ولذا يأتى الكافرون يوم القيامة وقد ضاعت أيامهم سدى فيسئلون عن عدد السنين التى قضوها فأقصى تصورهم أنهم قضوا يوما أو بعض يوم « قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ، قالوا لبثنا يوما أو بعض يو مفسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ، أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون » .

وأكبر مصيبة حلت بالأمة الاسلامية أنها استهانت بعنصر الزمن بينما من حولنا يهتمون بأوقاتهم وينجزون فى أقصر وقت أعظم الاعمال ، وأيامنا محسوبة علينا ، ورغم آلات ضبط الوقت بما لم يتوفر للسابقين نبدد أوقاتنا ونهدر طاقتنا ، فيقضى الواحد منا ساعات يمزح مع زملائه أو أمام مسرحية فاجرة أو يستمع لأغانى رقيعة وكانت النتيجة أن غفلنا عن ذكر الله وضيعنا أوقات الصلاة ، وماعادت الاغلبية تهب من سباتها على نداء الفجر وقلة قليلة تشهد هذه الصلاة التى أوصى الله بها « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » ولذا حذر النبى من التهاون فيقول (لن تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم ابلاه ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه) .

والانسان أنفاس معدودة وأيام محدودة وكل يوم يمر انما يقتطع من عمره ولعل هذا ماجعل الله رحمة بنا أن يسوق لنا مواسم الخير مثلا .

فى (يوم الجمعة) (يوم عرفة) (يوم العيد) (ليلة القدر) لنعوض ما فاتنا ويوم نعرف قيمة الوقت (أولا بالمحافظة على الصلوات فى أوقاتها) (ثانيا بالعمل منذ الصباح المبكر بدل الساعة العاشرة) كما نرى فى رمضان فليس رمضان شهر تكاسل ولا تبلد ولاتبديد طاقات وانما هو شهر المنجزات والفتوحات (ولذا وقعت فيه أشرف المعارك) . يوم نعرف ذلك نسود الدنيا.

التيسـير والتخفيف

الله الذى خلق الانسان ويعلم ماينفعه ومايضره « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » والقاعدة الاسلامية السليمة « لايكلف الله نفسا الا وسعها » وقد جعل الله العبادات لتتلاءم مع طاقات الناس وقدراتهم فاذا لم يجد الماء للوضوء أو لم يتيسر استعماله أمره (بالتيمم) وهو تخفيف « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » واذا لم يستطع الصـلاة قائما صلى قاعدا أوعلى جنبه ، واذا لم يستطع الصوم لسفر أو مرض أو مشقة أبيح له الفطر لأن الله رحيم ولايريد أن يشق على الانسان « مايريد اللهليجعل عليكم من حرج » .

وفى الزكاة لاتجب الا على من يملك (النصاب) وأن يمر عليه عام هجرى وجعل القيمة (ربع العشر) مع أنه مالك المال ومالك العبد .
ولذا كان النبى حريصا الا يشق الصحابة على أنفسهم والله يمتدحه فيقول «لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » ويقول النبى (مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيهاوهو يذبهن عنها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى) وقال للثلاثة الذين شددوا على أنفسهم (مامقالة بلغتنى عنكم ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، انى لأصوم وأفطر وأقوم وأرقد وأقرب النساء وهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) .

وكان يوصى بالتيسير على الناس ، وبلغ من حرصه أنه لما رأى الناس يتزاحمون على صلاة التراويح خاف أن تفرض فاعتزل فى بيته يصليها وحده وكان يقول (يسروا ولاتعسروا وبشروا ولاتنفروا) وكان يترفق بالمسلمين فقد دخل اعرابى وتبول فاراد الصحابة أن يؤذوه فمنعهم حتى انتهى الرجل ثم أمر بذنوب من ماء فصبه على بولته وكان يكره أن يسأل الرجل سؤالا فيه ما يشق على المسـلمين ويقول (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان رحمة بكم فلا تسألوا

عنها) امتثالا لقول الله (ياأيهـــا الذين آمنوا لاتســألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم) .

وأشفق على (أبى الدرداء) لما شدد على نفسه وقال (ياأبا الدرداء ان لعينك عليك حقا وان لجسدك عليك حقـــا وان لاهلك عليك حقا) والاســـلام فى عباداته راعى ذلك فالصلاة والزكاة كلها فى طاقة الانسان ، واشترط للحج الاستطاعة « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

والمسلمون يجب عليهم مراعاة ذلك وخاصة من يصلون بالناس جماعة لقول النبى (من صلى بالناس فليخفف فان فيهم الضـــعيف والمريض وذا الحاجة) .

الزكاة والصـــدقة
واطعام المسكين

أولا الزكاة عموما

الزكاة المفروضة ليست هى (زكاة الفطر) كما يتوهم البعض وانما هى زكاة تسع أنواع المال ، جعلها الله لسد ثغرات المجتمع وتحصينه ضد الحاجة ، وستر العورات ، وصيانة الوجوه ، وسميت (زكاة) لما يكون فيها من البركة والنماء والطهارة « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» .

والزكاة هى المذكر للفرد بحصة الجماعة من ماله الذى كســـبه من حلال ، وهى الامتحان فيما تهوى النفس من حب المال ، وتخلص من قيود الشح « وآتى المال على حبه » وتعتبر (الزكاة) أشق العبادات لأن المـــال قد يكونأحب للانسان من ولده ولذا تقدمت الأموال على الاولاد فى الـــذكر « انما أموالكم وأولادكم فتنة » « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

ولقد حبب الله فى الانفاق واعتبر ماينفقه العبد دينا عليه سبحانه مع انه مالك العبد وماملك « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له

أضعافا كثيرة » وكانت الارباح عالية « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » .

ثم أوضـــح سبحانه أن المـــال مال الله « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » وأن الاغنياء مجـــرد صيارفة ليس لهم أن ينفقوه الا فى أوجهه التى ترضيه « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ويقول فى الحـــديث القدسى « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى ، فاذا بخل وكلائى على عيالى أذقتهم نكالى ولا ابالى) وأوصى أن يكون الانفاق من أطيب المال لان الصدقة تقع فى يـــد الرب قبل أن تقع فى يد الفقير « ياأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ، ولاتيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه » ولذا كان السلف الصالح يعطرون الدراهم عند الصدقة ولا يصح أن يتبعها أذى من قول أو من والا كانت الكلمة الطيبة أفضل «قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم ، ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى »

وأوصى أن تذهب الى مصارفها الاسلامية الثمانية التى أوضحها الله فى قوله « انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفـــة قلوبهم ، وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله وابن السبيل » .

والصدقة تمنع أخطارا كثيرة ولذا قال النبى (داوو مرضاكم بالصدقة) وقال (صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تطيل فى العمر) .

وحذر الاسلام من الشح (اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والشح فان أهلك من كان قبلكـــم بعملهم على أن سفكوا دماءهـــم واستحلوا محارمهم) من أجل ذلك حارب أبو بكر المرتدين .

ثانيا زكاة الفطر

لايتم قبول الصيام الا بأدائها لقول النبى صلى الله عليه وسلم (صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع الا بزكاة الفطر) ويقـــول النبى

عن الفقراء فى يوم العيد (اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم) لتكتمل الفرحة وهو تكفير عما وقع من الصائم خلال رمضان يقول صلى الله عليه وسلم (فرضت زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمة للمساكين) ذلك أن الحسنة تمحو السيئة كما يقول الله « ان الحسنات يذهبن السيئآت»

على من تجب : فرضت على كل مسلم ذكرا أو أنثى حرا أم عبدا صغيرا كان أو كبيرا ، كل من يجد قوته وقوت عياله ليلة العيد ويومه ، حتى الفقير الذى يأخذ الزكاة ان زاد عن النصاب أخرج ليحس بلذة العطاء يقول النبى (أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطى).

قدرها : تخرج من غالب قوت البلد ويمكن أن تخرج نقدا فى المدن حسب الأحوال المعيشية وترتفع بارتفاع الأسعار ولابد من اخراجها قبل صلاة العيد لقول النبى (من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) والله يقول « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

الزكاة فى هذا العصر

أصبحت ركنا مهدما لايهتم به أحد فالناس يكسبون الملايين يعتقدون أن الزكاة هى زكاة الفطر هذه القروش القليلة ولكن الله جعلها فى (العمارات والسيارات والسندات والتجارة والزراعة) ، ولم يترك بابا من أبواب المال الا وجعلها فيه « كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم » والمؤمن لابد أن يحاسبه نفسه قبل أن يحاسب (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن)

ولو أخرجت الزكاة بمقاديرها لما أصاب المجتمع هذا الخلل ولما تفشت الجرائم والفواحش ، وأعجب أن يقتطع جزء من مرتب الموظف مع أنه يستحق الزكاة بينما من يكسبون الآلاف لايؤدون للدولة شيئا ولايعطون للسائل

والمحروم حقه ومن هنا انتشرت الأوبئة وعمت الكوارث يقول صلى الله عليه وسلم (يامعشر المهاجرين ، خصال خمس أعوذ بالله أن تدركوهن أو ينزلن بكم لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها الافشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشـــدة المؤونة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم) .

النصـــاب وأنواعه

١ ــ الذهب والفضة واوراق البنكنوت والعملات الجارية (ربع العشر) وتحسب على أساس (٢٠ مثقال ذهب) حسب السعر الحالى .

واذا بلغ النصاب وبدأ العام ثم نقص فلا يخرج حتى يكتمل ولو اكتمل آخر السنة تحسب سنة هجرية جديدة .

زكاة الحلى تعفى المرأة مما تتزين به عادة وتخرج الزكاة عن بقية الحلى بعد تثييمه حسب آخر سعر .

انواع النوافل

النوافل هى المكملة للفرائض فاذا قصر المســـلم فى أداء فرض قامت النوافل بالتغطية والله يقول فى الحديث القدسى (من عادى لى وليا فقـــد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضـــته عليه ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن استعاذنى لأعيذنه ولئن سألنى لأعطينه) .

والنوافل فى الصلوات ما يرتبط بالفرائض الخمسة لكل فرض نافلة واجمالها احدى عشرة ركعة (ركعتان قبل الصبح) (ركعتان قبل الظهر وركعتان بعده) (ركعتان بعد المغرب) (ثلاث ركعات بعد العشاء) .

ومنها (التهجد) (صلاة الشكر) (صلاة الاستسقاء) (صلاة الخسوف) (صلاة التراويح) الخ .

ومن النوافل فى المال الصدقة وهى غير الزكاة المفروضة والتى أشار الله اليها بقوله «وآتى المال على حبه» «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون» والرسول يقول (الصدقة تقع فى يد الرب قبل أن تقع فى يد الفقير) .

ومن النوافل فى الصيام (صيام يومى الاثنين والخميس) (وصيام يوم عرفة) (وصيام عاشوراء) (وصيام الثلاثة الايام المتوسطة فى الشهر القمرى) (وصيام ستة من شوال) .

ومن النوافل (العمرة) فهى غير الحج ، ومن النوافل (تلاوة القرآن) (أو الذكر) (والتسبيح) (والتفكير فى خلق السموات والأرض) .

معنى رمضان وأهميته

من الرمض قيل شدة الحرارة وقيل شدة البرد والشاعر يقول :

(كالمستجير من الرمضاء بالنار)

وقيل لارتماض الذنوب أى تكفيرها اصطفاه الله دون الشهور فأنزل فيه القرآن وخلد اسمه ولم يذكر شهر غيره بالاسم « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

وكان فى بدء أمره تخييرا من شاء صام ومن شاء أفطر ، وكفر باطعام مسكين كل يوم على عادة الاسلام فى التدرج التشريعى « وعلى الذين

يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم فرض صيامه وجعلت هذه رخصة (للشيخ الكبير واصحاب المرض الذى لايرجى الشفاء منه ، والحامل والمرضع) .

ويقول النبى عن رمضان (ان للجنة بابا يسمى الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم فيقال اين الصائمون فيقومون لايدخل منه أحد غيرهم) .

والله أفاض فيه بكثير من النعم وأجلها (القرآن) الذى سما بالعقل البشرى ان يسجد لغير الله ، واطلقه «قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض» وصوم رمضان عبادة تلتقى فى أهدافها مع أهداف القرآن فى تربية العقول والأرواح ، وتنظيم الحياة وأوقات العمل والطعام والشراب ويفرغ عليهم صبغة الانابة الى الله ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والذكر .

ولرمضان بهجة يحس بها حتى الأطفال فى الشوارع يرتلون الأغانى ويحملون المصابيح وهو للخواص رحلة الهية يبدأ يومه بالصوم ويختتمه بالافطار داعيا (اللهم لك صمت وعليك توكلت وعلى رزقك افطرت) .

وفى رمضان تغل الشياطين فلا مجال لهم ليفرقوا كلمة الناس ويفسدوا على الانسان عقله ، واذا كان رمضان يوحى بهداية الانسان فان القرآن الذى نزل فيه يوصى بتنظيم حياته فيستقر سلطان الاسلام .

وقد أوصى النبى فيه من الخير (استكثروا فيه أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما ، أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ألا اله الا الله وتستغفرونه ، أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما فتسألون ربكم الجنة وتستعيذون بالله من النار) .

ويقول صلى الله عليه وسلم « أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس خصال لم يعطهن نبى قبلى ، أما واحدة اذا كان فى أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية فان خلوف أفواههم حيث يحسون أطيب عند الله من ريح المسك وأما الثالثة فان الملائكة تستغفرلهم فى كل يوم وليلة وأما الرابعة فان الله تعالى يأمر جنته فيقول لها استعدى وتزينى لعبادى أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا) فقال رجل (أهى ليلة القدر يا رسول الله) قال (لا ألم تر الى العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم) .

نزول القرآن

رمضان شهر القرآن فلا يعرف الا به « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » وقيل نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة بالسماء الدنيا ثم نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة ، ويطلق (القرآن) على بعضه فقد استعملت (أنزل) فى الحسيات كقول الله «وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ومعنى « هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » أن القرآن هدى للناس جميعا اجمالا وبينات من الهدى والفرقان تفصيلا ، والهدى مصدره الايمان القائم على العقل والوجدان وعنصر التفكير .

وكان أول ما نزل من القرآن (اقرأ) وهى المادة الاولى فى الدستور الالهى أن تكون القراءة باسم الرب الذى خلق كل شىء فاحسن خلقه ، وقد اقسم الله بأدوات الكتابة « ن ، والقلم ومايسطرون » « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور » وامتدح الله العلم والعلماء « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ولايصل الى ذروة الايمان الا العلماء

«شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » وكان النبى يتلقى القرآن أول الامر فيعاجل جبريل بالقراءة ولكن الله اوصاه « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » .

ووصف الله القرآن بأجمل الصفات نزل بالحق « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل» « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وانه لفى زبر الأولين » .

صــــور الوحى

تقول عائشة (أول مابدىء به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتعبد الليالى ذوات العدد حتى جاء الوحى) وكان ذلك فى ليلة القدر « انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ماليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر» «انا أنزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم » .

وكان الوحى ينزل اما قذفا فى قلب النبى كما يقول (ان روح القدس نفث فى روعى ــ اى القى فى قلبى ــ أن نفســـا لن تموت حتى تستكمل اجلهـــا وتستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تنالوه بمعصية الله ، فان ما عند الله لاينال الا بطاعته) والصورة الثانية أن يكلمه الله من وراء حجاب ، كما حدث لموسى « وكلـــم الله موسى تكليما » والثالثة أن يأتى جبريل فى هيئة بشر ، وقد كان يأتى النبى فى هيئة اعرابى او احد الصحابة ، والصور الثلاث جمعتها الآية الكريمة « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجـــاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

وكان الوحى يلقى فى قلب النبى فيتفصد عرقا فى اليوم الشديد الحر وهو أشده عليه ، ويثقل جسمه « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » وكان يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل ، وكان يأتيه مثل صلصلة الفرس ، ويتغير وجهه لأنه يخرج من الطبيعة البشرية ويلتقى بالطبيعة الملائكية ، ولم ينزل الوحى قذفا فى القلب الامع القرآن (ومعنى الوحى الاعلام الخفى) .

اعجاز القرآن

معجز فى أسلوبه فقد حيرت (الحروف التى تأتى فى أوائل السور العلماء ومعجز فى بيانه ولذا تحدى به الانس والجن معا « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وهو معجزة رسول الله لانه تحدى به ، وكان معجزة ومنهجا أما المعجزات السابقة فقد انفصلت عن المنهج ، وكل المعجزات السابقة كانت مادية وقتية لم يشهدها الا القليل ، اما معجزة القرآن فى أنها كانت عقلية دائمة والكتب السماوية السابقة أوكل الله حفظها للبشر فحرفوها أما القرآن فقد تكفل بحفظه « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والقرآن لايفصل فى القضايا العلمية الا اذا تحققت بالفعل فاما أيدها أو لم يعارضها مثل (كروية الأرض) يقول الله « يكور الليل على النهار » .

وأتى بغيبيات تحققت ولم يترك بابا من أبواب العلم الا والمح اليه مع انه كتاب هداية ، وربط بين ماضى الانسان وحاضره ومستقبله وأتى بتشريع لسعادة البشرية استطاع أن يعالج مشاكلها ويداوى أمراضها .

وقد عرف العلماء القرآن بانه (كلام الله المتعبد بتلاوته المنزل على رسول الله المتحدى باقصر سورة منه) وما ان استمع اليه الجن حتى خضعوا .

وسمى القرآن قرآنا لأنه يتلى وكتابا لأنه مسطر وتسميته (بالمصحف) جاءت متأخرة ، وقد اجتهد الصحابة فى كتابته فى عهد رسول الله ، وجمع أبو بكر هذه الصحف ثم نسخه عثمان ووزعه على الأمصار فى منهج عقلى وعلمى راشد .

آداب تلاوته والاستماع اليه

القرآن يختلف عن سائر الكلام فله أصول وقواعد فى تلاوته بحيث يرتجف القلب ويقشعر الجلد «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » .

وتلاوته ربح عظيم « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة ، وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور» ويقول ربنا فى الحديث القدسى (من شغله القرآن وذكرى عن مسألته أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وهو جلاء للقلوب يقول النبى (ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد) قالوا (وما جلاؤها يارسول الله) قال (تلاوة القرآن) .

ويجب تدبر آياته « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته » وحسن الاستماع والانصات « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .

وكان الصحابة يحسنون قراءته يقول النبى لأبى موسى الاشعرى لما سمعه (لقد اوتيت مزمارا من مزامير داود) ويقول عن عبد الله بن مسعود (من اراد أن يسمع القرآن غضا كما انزل فليسمعه من ابن أم عبد) والله اوصانا « ورتل القرآن ترتيلا » وقيل ان أول ما نزل من القرآن (اقرأ) وقيل ان آخر ما نزل « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون» وقيل «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

أضواء على القرآن

سور القرآن ثلاثة أقسام (الطوال) مثل البقرة وآل عمران والنساء (المثانى) مثل السور المتوسطة (مريم وطه والأنبياء) والمفصل (مثل قصار السور) والقرآن نزل قبل الهجرة وبعدها فما كان قبلها يسمى (مدنى)وفى السور المكية الخطاب بـ «أيها الناس » وفى السور المدنية « ياأيها الذين آمنوا» جمع الله به القلوب وقوى العزائم ووحد الأفكار ولم يستطع أعداؤه النيل منه فقد اتهموا النبى أنه جاء به من هنا ومن هناك«وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ويرد الله « قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض» والقرآن عربى « قرآنا عربيا غير ذى عوج » لذا وجب اجادة اللغة العربية ، والقرآن يحدثك عن نفسه « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين» ومؤيد لما سبق من الكتب «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » ونزل فارتقت الأمة العربية بعد طول ضياع « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » .

ودائما يمزج بين الكون والعقيدة فالقرآن كتاب الله المسطور والكون كتاب الله المنظور ولا يمكن أن يتعارض كلام الله مع فعله « فلا اقسم بمواقع النجوم ، وانه لقسم لو تعلمون عظيم ، انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين » وترتيب القرآن وتسمية السور من الله سبحانه وتعالى ولا دخل للنبى فيه ويبرز فى القرآن ثلاثة أمور للاقناع (المشاهدة) (القصص) (القسم) .

ليلة القدر

انها ليلة الاتصال الروحى المطلق بين السماء والأرض ، ليلة بدء نزول

القرآن ، وسميت بليلة القدر لما فيها مـــن التقدير وعلو المنزلة ولما يقدر الله فيها من بركات وخيرات « تنزل الملائكة والروح فيهاباذن ربهم من كل أمر » « فيها يفرق كل أمر حكيم » .

ولم تتحدد ليجتهد المسلمون فى الطاعة وان حصرها النبى فى العشر الأواخر من رمضان وكان يعتكف فيها وكان يســتعد لها ويقول (اذا كانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله) وهم الذين عناهم الله بقوله « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

وفى اخفائها سر ولطف ، فقد أخفى الله رضاه فى الطاعات لكى يرغب الناس فيها ، وأخفى الاجابة فى الدعاء ليكثروا من السؤال ، واخفى خصائصه فى كلامه وفضائل أسمائه كيلا يقتصر الناس على بعضها ، وأخفى ساعة الجمعة ليبكر الناس بالحضور الى المساجد ، واخفى الآجال ليجد الناس فى السعى ، ان أنوار المؤمنين المتبتلين فى هذه الليلة تجــذب أنوار الملائكة فيتكاثرون فى الأرض والرسول يقــول (ان لربكم فى أيام دهركم نفحــات الا فتعرضوا لها) .

وليست ليلة القدر كمايتوهم البعض أن تدعو على الحجر فيتحول لذهب انها ليست ليلـــة الماديات وانما ليلة (التجليات والغفران) ولذا قال النبى لعائشة (قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) وجعلت طوال الليل لكى يجد كل انسان الفرصة للعبادة والطاعة .

صـــلاة التراويح

هى ترويح عن النفس بعد عناء والرسول كان يقول لبلال (أرحنـــا بالصلاة يا بلال) والمفروض فيها أن تكون قياما بالقرآن واستمتاعا بتلاوته

وتدبر آياته ولقد صلاها النبى بادىء الأمر جماعة ثمانى ركعات ، فلما وجد اقبال الناس خاف أن تفرض فيشق ذلك عليهم ، فامتنع فى بيته ، ومن هنا تصلى فرادى وجماعة ولما جاء عمر وجد الناس يصلى كل منهم وحده جمعهم على قارىء واحد هو (أبى بن كعب) ورفعها الى عشرين ركعة وقال (نعمت البدعة) وعمر تلميذ رسول الله الذى يقول (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) والرسول يمتدح صلاة القيام فيقول (ان الله عز وجل فرض صيام رمضان وسننت قيامه فمن صامه وقامه ايمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

والتراويح احياء لليالى رمضان ومناجاة لله ورياضة بدنية وجمع لكلمة المسلمين ، ولا يتساوى قائم الليل ومن يغفل عن ذكر الله « أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب » .

وصلاة التراويح تجمع على خير وعبادة فى ليالى رمضان بدل الجلوس الى المذياع والتليفزيون للاستمتاع بالأغانى والتمثيليات المدمرة وهى دليل على أن العبد قد باع نفسه لله فى ليله ونهاره .

قيام الليل

دليل على صلابة المؤمن وخشيته ورغبته فيما عند الله ولذا وصف الله من يقومون الليل « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » يستغفرون الله ويسبحون بحمده ويتبتلون فى حضرته فيستحقون الجنة « ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ،

وبالأسحار هم يستغفرون » وقيام الليل شرف للمؤمن وعلو مكانة يقول النبى صلى الله عليه وسلم (جاءنى جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحبب ما شئت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك مجزى به ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس) .

ورى أن عبد الله بن عمر رأى فى المنام كأن رجلين قد أخذاه الى بئر وقالا له انها جهنم فنظر فاذا قوم يعرفهم فأخذ يصيح حتى استيقظ فأخبر أخته (حفصة) فقصت على رسول الله فقال (نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل) وامتدح النبى عبادة داود فقال (خير القيام قيام أخى داود كان يقوم من الليل ثلثه وينام نصفه ويقوم سدسه) .

وقيام الليل فيه لقاء المحبين مع ربهم فى سكون الليل والله اوصى نبيه أول الدعوة « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ، نصفه أو أنقص منه قليلا) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » وأوصى الله بها نبيه لينال المقام المحمود « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » الشفاعة .

صـــلاة الفجـــر

دليل رسوخ الايمان أن تهجر الفراش والدفء وشهوة النفس وتأتى الى ربك وقد أسبغت الوضوء وأخلصت النية وصدقت العزم وهى صلاة تشهدها الملائكة ويباهى الله بالمصلين الملأ الأعلى والله ذكرها فى قوله «أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ، وقرآن الفجر ان قرآن الفجركان مشهودا» انها صلاة تشهد انبثاق النور من الظلمة فى هدأة الكون ،والانسان ليس بعاجز وهذا لقمان الحكيم يعظ ولده (يا بنى لست بأضعف من هذا الديك يؤذن للفجر وأنت نائم) وبعد صلاة الفجر ينطلق الانســـان فى طلب الرزق وقد شرح الله صدره وفرج كربه والنبى يقول (لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكـــم كما يرزق الطير تغـــدو خماصا وتروح بطانا) فهى

اشارة الى طلب الرزق فى البكور وانت بصلاة الفجر كـأنما تقف بين يدى مولاك تستلهمه الرحمة والعون لتبدأ يوما جديدا صافى القلب طاهر السريرة

وعندما يقسم الله (بالفجر) انما ينبهنا الى هذه الحقيقة ، فلا يصح أبدا أن نشكو قسوة الحياة وصعوبة المسالك وننادى بمضاعفة الانتاج بينما نهدر أثمن ساعات النهار (وخاصة فى الصيف) .

ان الله ايقظنا لكى نستغل الوقت من أوله ، ومن هنا كانت وصية النبى لنؤخر السحور فى رمضان لكى ننعم أولا بالتهجد والاستغفار فى الأسحار ولكى نحظى بصلاة الفجر (عجلوا الفطور وأخروا السحور) .

رؤية الهلال

لايصام رمضان الا برؤية الهلال ولاينتهى الا برؤية الهلال وذلك بنص قرآنى قاطع « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » والرسول يقول (انا أمة أمية لانحسب ولانكتب ، فصوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما) وهذا أمر الهى ورغم تواجد الأجهزة الا أن ظهور الهلال هو المنطلق اذ لادخل للانسان فيه ويراه (الأمى والمتعلم) (والدانى والقاصى) .

ولا يشترط أن يصوم المسلمون جميعا فى وقت واحد فان المشارق والمغارب تختلف والله يقول « رب المشرقين ورب المغربين » فأهل كل بلد ملتزمون معا ولعل الله اراد لدورة النهار والليل أن يكون الصيام دائما فيها فهنا مفطر وهناك صائم ، والذين ينادون بالأخذ بالتقويم الفلكى مخطئون فالانسان مهما ارتقى فهو ناقص والكون يحدث فيه تغيرات لايعلمها الا الله .

والصوم والافطار على هذا يغطى رقعة الزمن فان الأمة الاسلامية على تباعد المكان والزمان لا يخلو فى أى وقت منها من يصلى ويصوم ويقوم بالقرآن .

ولقد سأل المسلمون الأوائل رسول الله عن سر الهلال لماذا يبدو أول الشهر صغيرا ثم يكبر حتى يصير بدرا ثم يعود الى ماكـــان حتى يختفى فوجههم الله الى ما ينفعهم لأن العلم لم يكن قد توصل الى (كروية الارض) « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » وثبت أن للقمر تأثيرا على حركة (المد والجزر) فى البحار وعلى (أحاسيس الناس) .

أصحـــاب الأعـــذار فى الافطـــار

١ ــ المسافر الذى يرهقه الصـــيام على الا تقل مرحلة السفر عن تسعين كيلو مترا (كالمسافة بين القاهرة وطنطا) وان رأى بعض العلماء الا تتحدد المسافة .

٢ ــ المريض الذى يضر به المرض ولايتحدد نوع المرض لأن الله أطلق الحكم « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » ولكن اذا استطاع المسافر أو المريض الصيام فليصم لأنه سيقضى اليوم ثانية وخير له أن يصوم مع الناس من أن يصوم وحده ، وصيام أيام رمضان لايعـــد لها الدهر كله « وان تصوموا خيرلكم » .

٣ ــ الشيخ الكبير الذى يرهقه الصيام وهو الذى عناه الله بقوله « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » والا طاقة أن يعمل الشىء بجهد كقولك (اطيق حمل هذه الصخرة) أى حملها بمشقة .

٤ ــ المرضع التى تخاف على رضيعها والحامل التى تخـــاف على جنينها ومن العلماء من أدخلها مع (المريض والمسافر) فعليهما القضاء فقط

ومنهم من راى أن الأمر يتعلق بروح أخرى فقال (القضاء والفدية) وانا أميل للرأى الأول .

٥ ـــ المريض الذى لايرجى شفاؤه برأى طبيب مسلم حاذق (كالذبحة) (ومرض القلب) (ومرضى السكر) المرتفع (وضغط الدم المرتفع) وغيرهم ويحتاج الى علاج دائم عليه الفدية .

٦ ـــ من يقومون بأعمال مرهقة كمن يقفون أمام الأفران أو يعملون فى المناجم أو الحمالين الذين يتكسبون من هذا الطريق وعليهم الفدية وان يبقى القضاء معلقا اذا سمحت لهم الظروف بقضاء الأيام التى افطروها .

التكبير والوان الذكر

من الـــذكر (التوبة) والله يقول « قل ياعبـــادى الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » ولقد جاء رجل الى رسول الله وقال (يارسول الله ان لى غدرات وفجرات فهل يغفر الله لى) قال (الست تشهد الا اله الا الله) قال (بلى واشهد أنك رسول الله) قال (قد غفر اله لك غـــدراتك وفجراتك) والله لايضيع على العبد شيئا « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وأن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين » .

وقد أمرنا الله بذكره « فاذكرونى أذكركم واشكرولى ولا تكفرون »وفى الحديث القدسى (ياابن آدم ان ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم ، وان دفوت منى شبرا دفوت منك ذراعا ، وان دفوت منى ذراعا دفوت منك باعا ، وان اتيتنى تمشى أتيتك هرولة) .

ومن الذكر (التكبير) وهو مقترن بالعيد « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم » ويمكن التكبير بأية صيغة ولا خلاف واوثقها ان تقـــول

(الله أكبر الله أكبر . الله أكبر ، لا اله الا الله ، الله اكبر الله اكبر ولله الحمد) أما الاضافات التى نسمعها فى التكبير فمن وضع المتأخرين ولاتضر ولاداعى للخلاف فيها .

والصلاة من ذكر الله « وأقم الصلاة لذكرى » ومن الذكر (تلاوة القرآن) ومنه دروس العلم (اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا وما رياض الجنة يارسول الله ، قال (مجالس العلم) ومن الذكر (التفكر فى خلق السموات والارض) لقول الله « ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » .

صلاة العيد

سنة مؤكدة وهى مظهر جماعى لعزة المسلمين والرسول أوصى أن يحتشد لها كل الناس (الرجال والنساء والأطفال) حتى الحيض يشهدن الاجتماع ويعتزلن الصلاة ، والعيد عود من الله على عباده ودعوة على موائد رحمته وقد اقترن العيد فى الاسلام بالعبادة (فعيد الفطر) يأتى بعد صيام رمضان (وعيد الاضحى) بعد اداء الحج .

والأعياد ظاهرة اجتماعية تعرفها المجتمعات البشرية سواء كانت دينية أو وطنية ، ولما دخل النبى المدينة وجدلهم يومين يلعبون فيهما فقال (ان الله قد أبدلكم خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) وتؤخر صلاة (عيد الفطر) لاخراج الزكاة (وتقدم صلاة عيد الأضحى) ليذبح الناس بعدها وتستحب فى الاماكن الفسيحة ، واراد الله أن يربطها بتكبيره والتسبيح بحمده والرسول يقول (زينوا أعيادكم بالتكبير) .

أراد الله أن يربط عباده بطاعته وجعل يوم العيد يوم شكر على نعمه وصلة رحم وتعاون ومحبة .

والمعروف أن صلاة العيد ركعتان يكبر فى الأولى سبع تكبيرات غير تكبيرة الاحرام ، وفى الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام ويقول بين كل تكبيرتين (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جـــدك ولا اله غيرك) .

شكـــر النعمـــة

هو الاعتراف بالجميل لصاحب الجميل ولا يتحقق الا اذا آمن المرء بمصدر النعمة ومسديها ، وجاء الشكر فى القرآن مرادفا للايمان وجحود النعمة هو الكفر « فاذكرونى أذكركم واشكرولى ولا تكفرون » « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » .

شكر الرسل

وصف به نوح « ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبـــدا شكـــورا » ووصف به ابراهيم « ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه » وأمر الله به موسى « ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » وقال لآل داود «اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » .

وابليس يقف فى طريق الشكر ليجحد الناس أنعم الله وقد وعد الله قديما « قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجـــد أكثرهم شاكرين » ولما كفر أهل سبا بدل الله نعمتهم نقمة وسلبهم الخير وحول جناتهـــم الى صحراء قاحلة « لقد كان لسبا فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمـال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا

عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط واثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور » .

نعـــم الله والشكـــر

تركز الشكر فى نعمتين (نعمة الطعام) (ونعمة الماء) وهما أساس الحياة فطالبنا بالتزام الحلال « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكرو الله ان كنتم اياه تعبدون » وشكر نعمة المحاصيل الزراعية «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » .

ونعمة الأنعام بما فيها من لحوم وجلود والبان ومنافع « اولم يـــروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » .

والماء نعمة « افرأيتم الماء الذى تشربون ، أانتم انزلتموه من المـــزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء جعلناه أجاجا فلو لاتشكرون » .

والليل والنهار نعمة « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

فالله هو الخالق والرازق وهو الأساس ولذا وجب شكره « أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » والرسول أوصى معاذ بن جبل (يامعاذ انى لأحبك فلا تنس أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى علـــى ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

أسرار الدعـــــاء

معناه الابتهال الى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده وهو من المحتاج

الى القادر فجاء فى صلوات المؤمنين « اياك نعبد واياك نستعين » .
والدعاء دأب الصالحين ولذا وصفهم ربهم « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » « ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، اذ نادى ربه نداء خفيا » وأمرهم الله بكثرة الدعاء ولايملوا « ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لايحب المعتدين ، ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

والله أقرب للانسان من حبل الوريد يستجيب الدعاء الخالص وينادى العباد « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

والرسول أوصى بالدعاء (ليس اكرم على الله تعالى من الدعاء) (من لم يسأل الله يغضب عيه) والصلاة فى اجمالها دعاء (الدعاء مخ العبادة) .

ويجب اغتنام الاوقات المباركة للدعاء (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة ، وخير الدعاء دعاء يوم عرفة) واغتنام (يوم الجمعة) فان فيه ساعة مستجابة ، (وليلة القدر) فلقد سألت عائشة (يارسول الله اذا وافقت ليلة القدر فبماذا أدعو) قال (قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى) (وجوف الليل وبعد كل صلاة) فلقد سئل النبى (أى الدعاء أسمع قال (جوف الليل الآخر ودبر كل صلاة مكتوبة) وعند السجود فالانسان يكون قريبا من الله (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء) وبعد الاذان فانه وقت كريم (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ثم صلوا على ، فان من صلى على صلاة صلى الله بها عليه عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو أن اكون هو) والله كريم العطاء ولايرد عبده خائبا يقول النبى (أن ربكم حيى كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا .

ويجب أن يتركز الدعاء فى الخير « ويدعو الانسان بالشر دعاء بالخير، وكان الانسان عجولا » ويستحب الاكثار من الاستغفار قبل الدعاء لطهارة الانسان لقول النبى (من لزم الاستغفار جعل الله من همه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) .

أن يلزم الانســـان الحلال فالله لا يستجيب من الذين يأتون الحرام ويصرون عليه فلقد قال سعد بن أبى وقاص (يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة) فقال النبى (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفسى بيده ان الرجل ليقذف باللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وأيما عبد نبت جسمه من الســـحت والربا فالنـــار أولى به) .

والله قادر على اجابة الدعاء وكشف الكرب « أم من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أاله مع الله » .

والله ساق لنا أدعية عظيمة فى القرآن ، والنبى ما ترك شـــيئا ولا حركة الا ودعا وخرج عمر لأداء عمرة فقال النبى (اشركنا يا أخى فى دعائك) قال عمر (انها كلمة ما أحب أن تكون لى بها الدنيا وما فيها) .

وكانت للنبى دعوات مستجابة فقد قال عن سعد (اللهم أجب دعـــوته وسدد رميته) فكان لا يدعـــو الا استجاب الله ولا يرمى عـــدوه الا أصـــاب .

ودعـــا يوم الأحزاب (اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وسريع الحساب ، أهزم الأحزاب) فهزمهم الله ، ودعا للسقيا فنزل المطر ولمـــا اشتد وأضر بالناس دعا (اللهم حوالينا ولا علينا) فصرفه الله عن المدينة ويقول عليه الصـــلاة والسلام (لكـــل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى

دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا) .

وكان للصحابة دعوات مستجابة فهذا (عاصم بن ثابت) لما هجم عليه المشركون وأرادوا قتله وحز رأسه دعا (اللهم انى حميت دينك أول نهارى فاحم لى جسدى آخر نهارى) فأرسل الله (سربا من النحل) فلم يستطيعوا الوصول اليه ثم أرسل ريحا حملته الى مكان لا يمكنهم الوصول اليه فانصرفوا عنه .

واتهمت امرأة (سعيد بن زيد) أنه اغتصب أرضها فدعا (اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها) فذهب بصرها ووقعت فى حفرة بأرضها فماتت .

فما أجمل أن نردد دعاء القرآن كما يقول الله وهو يعلمنا « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رءوف رحيم » .

حسن المعاشرة الزوجية

أراد الله أن تقوم البيوت على السكينة والرحمة والمودة كما قال سبحانه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » والله اوصى بحسن معاشرة الزوجة وأن يتغاضى الزوج عن الأمور التى لا تضر بعقيدتها ولا بأخلاقها « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ويقول النبى (لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر) وكان النبى حريصا على النساء بوصفهن ضعيفات فقال فى خطبة الوداع (استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان ــ أى أسيرات ــ

أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة اللــــه) ويقول عن النساء (ما أكرمهن الا كريم ، وما أهانهن الا لئيم) ويقول (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله) .

وكان يوصى باللفتة الجميلة ولمحات المحبة وارضاء الزوجة تقول عائشة (كـــان رسول الله ألين الناس ضحاكا بساما ، وكان اذا دخـــل بيته صار فى خدمة أهله يرفـــع الثوب ويخصف النعل ويحلب الشاة فاذا حضرت الصلاة خرج اليها) وكان النبى يشرب من الاناء بعدها اذا شربت ، ويتكىء فى حجرها ويقرأ القرآن وهى حائض وكان يقول لها (ياعائشة ما يخفى على حين ترضين وحين تغضبين) قالت (كيف يارسول الله) قـــال (حين ترضين تقولين لاورب محمد ، وحين تغضبين تقولين لاورب ابراهيم) فتقول عائشة (والله ما أهجر الا اسمك) .

وللمرأة حقوق كثيرة يجب مراعاتها وابسطها أن تطعمها اذا اطعمت وتكسوها اذا كسوت ولا تجرح مشاعرها بقول أو بفعل ، ورغم أن الاسلام أباح للزوج أن يؤدب زوجته الناشز بالضرب ان احتاج الامر الا ان النبى يقول (أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد يضربها أول النهار ويجامعها آخره) والمرأة تحتاج الى الملاطفة واللين فالشدة معها قد تضر بها والرسول يقول (ان المرأة خلقت من ضلع أعوج لا تستقيم لك على طريقة فان رحت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها) .

والاسلام أوصى الا يتعجل الرجل فى الطلاق عند الخلاف وانمـــا يقوم بسلسلة من الاصلاح مرحلة بعـــد مرحلة (العظة ، ثم الهجـــر فى المضجع ، ثم الضرب) وهو ما عناه الله بقوله « واللائى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضـــاجع واضربوهن ، فان أطعنكـــم فـــلا تبغوا عليهن سبيلا » فاذا لم تفلح هـــذه الوســـائل يلجأ الى (مجلس الحكمين)

ليتدخل أهل الصلاح فى الاصلاح « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » .

ولعل الاسلام كان حريصا على حسن المعاشرة الزوجية لتستقر الأوضاع فى البيت وينشأ الأولاد فى جو هادىء والا تسبب النزاع بين الزوجين فى آلام لا تحمد عقباها والله عندما جعل (القوامة) للرجل أرادها رئاسة منزلية وليست استعلاء أو استرقاقا « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

المباشرة وأدب الجماع

ربط الله الصيام بأدب المباشرة والجماع مما يدل على صفاء القلوب وتلاقى الأرواح فالله وصف العلاقة الزوجية « هن لباس لكم وانتم لباس لهن » وهناك صنف من الرجال يحبون أن يحصلوا شهواتهم دون مراعاة لمشاعر زوجاتهم ولكن النبى كان حريصا من هذه الناحية فقال (فاذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، فاذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها) ويوصى برعاية المشاعر فلا يرتمى الانسان على امرأته مباشرة دون مقدمات وهى لم تتهيأ وانما لا بد من تقديم يقول النبى (لا يرتمى أحدكم على امرأته كما يرتمى البعير بل يبعث برسول) قالوا (يا رسول الله وما الرسول) قال (القبلة) .

وأن يراعى مشاعرها عند (الحيض) فالمحل يكون غير نظيف وأعصابها تكون غير هادئة « ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » فاذا ما طهرت من الحيض فهى أشد رغبة اليه مستعدة للقائه « فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » .

ولا بد وأن يتزين لها ويتجمل ويتطيب ولا يأتيها وهو فى هيئة منفرة أو رائحة خبيثة فان لذلك علاقة بأحاسيسها يقول النبى (اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا فان بني اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم) والمرأة تحب الملاعبة والاطراء والتعليق على ملبسها ومأكلها واشعارها بأنها أثيرة عند الرجل .

(والمباشرة مقدمة للجماع) من تقبيل أو احتضان أو لمس وغير ذلك

التوبة والاستغفار

التوبة هى دليل رحمة الله بعباده رغم عصيانهم والله ارادها ليرجع العبد اليه ويندم على ما فعل فا لله غنى عن العالمين جميعا لا تنفعه طاعة الخلق ولا تضره معاصيهم والله ينادى « أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » والتوبة لازمة فى كل وقت والله يقول « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ويقول عن النبى وأصحابه « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم » .

والله يفرح بتوبة عبده فرحا شديدا (لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم كان بأرض فلاة فذهبت عنه راحلته وعليها طعامه وشرابه فاستراح تحت ظل شجرة ونام ثم وجدها عند رأسه فأخذ بخطامها وقال (اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح) .

والتوبة النصوح أن تقر بالذنب وأن تندم عليه وأن تعزم عزما أكيدا على الا تعود الى فعل المعاصى ابدا وان كان الذنب يتعلق بحق من حقوق العباد يرد اليهم « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا » .

ولا تقبل التوبة عند الاحتضار لأنها توبة لا تثمر أى ثمار للخير ولا بعد الموت فقد فات الأوان وانما تقبل بعد ارتكاب الاثم والأمل فى الحياة « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما ، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما » .

والتوبة تقرن بالاستغفار ، والاستغفار ليس مجرد كلمات وانما هو بركة من الله وخير عميم يقول الله على لسان نوح « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا » .

ويقول على لسان هود « ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » .

ان التوبة عودة الى الله الخالق ليمحو الذنوب ويبدلها حسنات والله جعل من أصناف المتقين ، من أخطأوا لكنهم ذكروا الله وتابوا وندموا واستغفروا فتاب الله عليهم وأدخلهم جنته « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » .

عدم الاسراف وفضل الوسطية

الاسلام دين اعتدال وقد وصف الله هذه الأمة بأنها الأمة الوسط فى عقيدتها وأخلاقها ومعاملاتها « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اراد لها الاعتدال فى الأكل والشرب « وكلو واشربوا ولا تسرفوا » والنبى يقول (ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة آكلا فثلثه لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولقمان الحكيم يقول لولده (يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة) والله أوصى بالتوسط فى الصلاة « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » وفى الانفاق « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

والنبى كان يحب التوسط فى كل شىء (خير الأمور اوساطها) ويختار الأيسر تقول عائشة (ما خير رسول الله بين أمرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما) وكان يقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) ويقول (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، ان المنبت — الذى يرهق دابته بالضرب — لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) .

والله ذم الاسراف فى كل شىء « ان الله لايحب المسرفين » ولقمان الحكيم ضمن عظته لولده « واقصد فى مشيك » اى اعتدل فى كل تصرفاتك فالاسراف مرض ولذا يجب الا نتخذ من رمضان شهر اسراف وتبديد للطاقات ومبالغة فى مطالب الجسد .

الاعتكاف

ذكره الله فى كتابه « وطهر بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود» وكان الرسول يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان تقول عائشة (كان

رسـول الله اذا دخـل العشر الأواخر من رمضـان أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر) .

والاعتكاف عبادة تهيىء الجو لجمع الخواطر والصفاء القلبى تشبها بالملائكة وتأهيلا لشهود ليلة القدر ، والاعتكاف أن تمكث فى المسجد بنية العبادة وهو (اما وفاء لنذر) أو (سنة مؤكدة) فى رمضان (أو مستحب) فى غيره واذا احتلم المعتكـف وجب عليه الاغتسـال الفورى (والحائض والنفساء) يقطعان الاعتكاف لأنه يتطلب طهارة .

سلوك المعتكف أن يكون مع الله فاذا خرج من المسجد لقضاء شـأن من شئونه فلا يعـود مريضـا ولا يشيع جنـازة ولا يمس امرأته أو يباشرها ولا اعتكـاف الا بصـوم ولا اعتكـاف الا فى مسجـد جامع « ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » ولم يكن الاعتكاف لينهى الناس عن قضاء الحوائج فللمعتكف أن يقطع اعتكافه اذا كان فى ذلك تفريج هم يقول النبى (من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكـاف عشر سنين) .

والاعتكاف مع الصوم تقوية للارادة ومع الصلاة تهـذيب للارواح والاعتكاف يقوى روح المراقبة والاخلاص وتسليم النفس لله وملازمته فى بيته واعراض كامل عن عرض الدنيا .

النهى عن قرب المحظورات

عندما يصدر الله الأوامر تأتى بصيـغ متفرقة فمع بعض الكبائر يوصى بعدم فعلها مباشرة لأن الانسان لا يأتيها الا بصعوبة وجهـد مثل (القتل) يقول « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله بالحق » فالقتل لايتعود عليه الإنسان ولذا قال عن (قابيل) لما قتل أخاه (هابيل) « فطوعت له

نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين » كما تطوع الحديد بوضعه فى النار ثم تطرقه حتى يلين لك ، وهذا يتطلب جهدا .

أما بالنسبة (للزنا) فالله ينهى عن القرب منه « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » لأن له مقدمات اذا جاءها الانسان قادته للزنا والله يقول «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم » .

فالزنا وليد (النظرة والاستماع واللمسة والخلوة) الى غير ذلك يقول النبى (كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا الأذنين الاستماع وزنا اللسان النطق ، وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى ، والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه) ويقول (ما اختلى رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما) .

أيضا فى (مال اليتيم) يقول « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » لأن الوصى اذا امتدت يده للقليل يغريه الشيطان بالكثير « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولاتأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيافليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » .

حرمة المال ونزاهة المعاملات

حارب الاسلام الاستغلال بكل صوره وأشكاله واراد أن تقوم المعاملات بين الناس على أساس من النزاهة والأمانة والرسول يقول (من غشنا فليس منا) فالتاجر الذى لايعطى الناس حقوقهم ويأخذ أكثر من حقه هو خائن مذموم ولذا هاجم الله هؤلاء « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم

مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » وذم الله اليهـود « سماعون للكذب أكالون للسحت » كما حارب الاسلام الربا لأنه امتصاص لدماء الكادحين واستغلال فاحش للانسان واقتناء ثروة بدون جهد وفرق بينه وبين البيع «الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » .

وأهلك الله أمة شعيب لأنها استغلت وانحرفت وأعماها حب المال عن سلوك الطريق القويم فطففوا المكيال والميزان وأبخسوا الناس أشياءهم وأرتكبوا كثيرا من الموبقات وقطعوا الطريق وقتلوا وسلبوا ونهبوا « فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعـد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ، ولاتقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا ، واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين » ولقد تطـاولوا على شعيب « قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أوأن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك لأنت الحليم الرشيد » ويوجههم الى طريق الحق والأمانة فى المعاملة وطلب الرزق الحلال « قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريـد أن أخالفكم الى ما أنهاكـم عنه أن أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه‌انيب»

والله أراد للانسان أن يأمن على نفسه وماله وعرضه فلا يتعرض للقتل أو السلب أو الانتهاك والرسول فى خطبه الوداع قال (ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا) والمال قد يكون أشد غلبة على الانسان من ولده ولذا تأتى الأموال قبل الأولاد فى الذكر « انما أموالكم وأولادكم فتنة » « ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكـم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون » .

وهناك صنف من الناس يستغل منصبه أو غناه لأكل أموال الناس بالباطل واغتصاب حقوق العباد يقول النبى (من اقتطع من أرض اخيه شبرا بغير حق فانما يقتطع قطعة من النار) واذا امن المجتمع على الأموال والأعراض والأنفس كان مجتمعا مستقرا والا ذهب ريحه .

ورمضان فرصة لتطهير القلوب وبراءة الذمم ونقاء الضمائر فيتوخى الانسان الصدق ويحرص على الحق والا يأخذ الا ما يستحق « وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

معـــارك فى رمضـــان

معركة بدر الكبرى

أعظم معارك الاسلام على الاطلاق وقد سماها الله (يوم الفرقان) لأن الله فرق فيها بين الحق والباطل « وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » تجلى فيها الاخلاص لله ورسوله ، وصـــدق النية وخرج (المهاجرون والأنصار) لا يريدون الا احدى الحسنيين (اما النصر واما الشهادة) وارضوا نبيهم فساق الله لهم بشائر النصر « اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » وكانت نتائجهـــا عظيمة فلأول مرة تغلبت القوة المؤمنة على جبابرة قريش وسمعت الجزيرة بهذه الهزيمة الثقيلة فأحست بقوة **الاسلام** .

وكان النبى رحيما بجنده يدعو (اللهم انهم جياع فأطعمهم ، عراة فأكسهم ، حفاة فاحملهم اللهم ان هذه قريش قد جاءت بخيلها وخيلائها ترجو نبيك ، اللهم أنجــز وعدك فى قريش ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا) .

وأخذ بالشورى سواء فى خروج الجيش أو اختيار المكان أو معاملة الأسرى وقدم أقاربه أولا للخطر فكان أول المبارزين ثلاثة منهم (حمزة عمه وعلى بن عمه وعبيدة بن الحارث بن عمــه) وكــان بكــل جوارحه معهم (انضحوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل) وتحقق وعد الله «قد كانت لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء » « ولقــد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

غزوة الفتــح

كان لايمكن أن تخضع الجزيرة الا اذا خضعت مكة ، ولقد خاض النبى مع قريش معارك تارة كانت له وتارة كانت عليه ثم كان يوم الأحزاب عندما جاءوه فى عشرة آلاف مقاتل وهو أكبر حشد ولكن الله ردهم « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا » واضطرت قريش للاعتراف به وبقوته وعقدت معه (صلح الحديبية) الذى كان فتحامبينا ونصرا مؤزرا جعله ينطلق بدعوة الله الى آفاق أوسع ولكن قريش خانت العهد وكان لابد من فتح مكة وازالة كل أثر للوثنية ، وتحرك فى عشرة آلاف مسلم ودعا (اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى دارها) وتحقق له ذلك ودخل مكة بدون قتال قد أخضع الله له رءوس الشرك وجمعهم وفى رحمة وعفو عن مقدرة قال (يامعشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم)فردوا عليه (أخ كريم وابن أخ كريم) قال (اقول لكم ما قال يوسف لاخــوته ، لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا فأنتــم الطلقاء) وعفا عنهم وسمعت القبائل فدخلت فى دين الله أفواجا « اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » وتحقق وعد الله أن تكون الغلبة للاسلام

وأهله « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .

غزوة مؤته

كانت أول صدام مع (الروم) الذين تجمعوا فى نحـــو مائتى مقاتل وخرج (زيد بن حارثة) يقود جيشا صـــغيرا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل . وأمر النبى أن يتولى القيادة بعد زيد (جعفر بن أبى طالب) وبعده (عبد الله بن رواحة) فكانت اشارة الى مقتلهم ، ولما رأى زيد هذه الحشود وأراد المدد فقال (أبن رواحة (أنا لا نقاتل الناس بعدد ، ولا عدة ولكن نقاتلهم بهذا الدين) ومضوا فى القتال كالآساد ، وكان النبى هناك فى المـــدينة يراقب المعركة وقد كشف الله له الحجب ثم أعلن مقتل القادة الثلاثة ، وأخبر أن جعفر بن أبى طالب قد قطعت ذراعاه وأبدل بهما جناحين يطير بهما فى الجنة حيث يشاء ووقع الاختيار على (خالد بن الوليد) ليتولى القيادة بعد (ابن رواحة) فرأى أن الانسحاب أفضل بدل المغامرة الانتحارية ونجح فى هذا الانسحاب الشريف بعد أن كبد الروم خسائر فادحة فى الارواح .

ولم يرض المسلمون عن هذا الانسحاب وصاحوا بالجيش (أنتـــم الفرارون) وكأنهم ارادوا أن يقاتلوا حتى آخر رجل لكن النبى قال (ليسوا بالفرارين وانما هم الكرارون ان شاء الله) وامتدح فعل خالد وأسماه (سيف الله المســـلول) .

ومن العجيب أن المعركة أسفرت عن مقتل اثنى عشر رجلا من المسلمين منهم القادة الثلاثة وهى أعظم نتيجة لمعركة حربية ليس فيها تكافؤ وكان ذلك

فى رمضان فى شدة الحر ولكنهم جاهدوا فى الله حق جهاده « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين » .

غزوة تبوك

آخر غزوات المسلمين بقيادة نبيهم وكانت دليلا على أن قوة الأسلام لم تعد ترهب سكان الجزيرة وحدهم بل ترهب أعظم دولة وهى (دولة الروم) فقد علم النبى انهم يستعدون للهجوم عليه فتحرك سريعا ، ورغم شدة الحر وقسوة الطبيعة وطول المسافة ووعورة الطريق فقد خرج معه (ثلاثون الفا) رغم أن الحصاد كان على الأبواب ولم يتخلف الا ثلاثة هم (كعب ابن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع) لم يكن لهم عذر فأمر النبى باعتزالهم ومقاطعتهم خمسين ليلة حتى نزلت آية توبتهم « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا الا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

ولما وصل النبى لتبوك لم يجد حشود الروم فقد قذف الله فى قلوبهم الرعب وعجب قيصر كيف لهؤلاء العرب أن يجازفوا فى ذلك ومكث النبى عشرين ليلة وعقد محالفات مع القبائل وسمعت الجزيرة بخروجه فخضعت له كلها وكان النبى بصدامه مع الروم اراد أن ينبه الى أخطارهم ولذا سنرى (أبا بكر)يصطدم معهم ثم (عمر) وينزل بهم هزائم ساحقة .

وبعد (تبوك) نزلت التحذيرات السماوية من الله الا يتخاذل المسلمون والا يتقاعسوا عن الجهاد فان ذلك ينهى وجودهم « يايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل ، الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا » .

معركة القادسية

ما ان تولى ابو بكر الخلافة حتى تحركت قوى العدوان من (فارس والروم) تحاول القضاء على هذه (الدولة الوليدة) واشتبك المسلمون مع الدولتين فى وقت واحد ، ونال المسلمون بعض الهزائم من الفرس لقوتهم واستعدادهم وقربهم من ديارهم .

ولما تولى (عمر) اختار لهم (الأسد واثبا) وهو (سعد بن أبى وقاص)واوصاه (ياسعد لا يغرنك أن يقال خال رسول الله) وامره بالحذر والحكمة واستطاع (سعد) أن يدخل معهم فى معارك ضارية كانت اشدها (معركة القادسية) وكان (سعد) قد اصيب بمرض يمنعه من ركوب فرسه فأقام لنفسه عريشا يشرف منه على المعركة وانطلقت آساد الله بقوة الايمان تهزم كتائب الشرك وجند الطغيان ، وكان فى الجيش بعض كبار الصحابة الذين حمسوا المسلمين ورغبوهم فى الاستشهاد واستعاد المسلمون أيام انتصر العرب على الفرس فى معركة (ذى قار) فى الجاهلية ونجحوا بالاخلاص والتخطيط السليم والقيادة الرشيدة والحرص على النصر او الشهادة أن ينتزعوا من الفرس نصرا عزيزا مؤزرا وأن تفر جحافل الفرس بعد أن تركت آلاف القتلى والجرحى وتبعهم المسلمون ، ولم يمض قليل حتى دخل المسلمون (المدائن) عاصمة فارس وازالوا دولتهم وتجمعت غنائم عظيمة بين يدى عمر فقال (ان قوما أدوا هذا لأمناء) فقال على (ياأمير المؤمنين لقد رأوك عفيفا فعفوا ولو رقعت لرقعوا) .

معركة عين جالوت

من معارك رمضان المجيدة التى كانت جلادا عظيما مع أعتى قوى الأرض فان (التتار) اجتاحوا أواسط آسيا واهلكوا الحرث والنسل وما مروا بمدينة الا تركوها أحجارا واحدثوا رعبا فى القرى فهرب الناس ودخلوا

(بغداد) وذبحوا ثمانين آلفا (ودمشق) فذبحوا ستين آلفا وتقدموا نحو (غزة) يريدون (القاهرة) ولكن القوة المصرية تحت قيادة (قطز) (والظاهر بيبرس) نهضت باخلاص وقام العلماء يحمسون المقاتلين وفى (عين جالوت استطاع المصريون أن ينزلوا بالتتار هزيمة ساحقة وتتبعوهم قتلا واستئصالا حتى أفنوهم عن آخرهم .

ولو قدر ودخل التتار مصر لانتهت الحضارة الانسانية فقد كانت تتمثل فى (الأزهر الشريف) وبعد هذه المعركة لم تقمللتتار قائمة وبذلك كانت مصر درعا واقية لكل شعوب الأرض وخاصة (أوربا التى كانت تعيش فى (ليـــل مظلم) من الجهالة وفى (غابة) يأكل القوى الضعيف وكان التتار يشبهون (يأجوج ومأ جوج) فى عدوانهم ، وتتملكهم رغبـــة ملحة فى سفك الدمـــاء وتشويه الانسان وقطع الرقاب ونزع جلدة الرأس ، والخراب لكل ما هو حضارى .

(مصر) دائما كانت القلعة التى رد الله بها الغزاة وكانت مقبرة لكل من سولت له نفسه أن ينتهك حرماتها ويعتدى على شعبها الآمن ، ونعمت مصر بعد هزيمة التتار بعهد ازدهار حتى دخلت (ليل الاحتلال العثمانى ثم الفرنسى ثم البريطانى ثم الاسرائيلى) .

معركة العاشر من رمضان

قامت (دولة اسرائيل) فى غفلة من العرب وهـــم يرزحون تحت نير الاستعمار (الفرنسى والبريطانى) ولأول مرة فى التاريخ منذ(دولة سليمان) يقام لليهود دولة فى (أرض الله المقدسة فلسطين) ومنذ قامت وهى تتعمد اذلال العرب وتعتدى عليهم وتضرب بكل القرارات الدولية عرض الحائط .

ودخلت مع العرب فى معارك متعددة وكانت مصر دائما تتحمل النصيب الأوفى من مالها وشبابها (وفى معركة ١٩٥٦) وقفت (بورسعيد) وقفة رائعة ولكن كانت (النكسة فى ١٩٦٧) ونزلت بمصر خاصة والأمة العربية عامة اكبر كارثة فى تاريخها واستطاعت اسرائيل أن تمزق الجيش المصرى وتقضى على كل مقوماته وأن تحتل أراضى عربية (سيناء وغزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان) وظلت مصر تجتر آلامها وتتهيأ ليوم الثأر وفى رمضان فى ١٩٧٣ وتحت (قيادة رشيدة) (وتخطيط محكم) (واخلاص ونية) وثبت الآساد المصرية لتنزل بالاسراعيلين هزيمة ساحقة وتغير وجه القتال العسكرى حين عبرت (المانع المائى ممثلا فى قناة السويس) والساتر الترابى) (وخط بارليف) واجلت العدو عن مواقعه ، وتلفتت الدنيا لترى الجندى المصرى بطلا مغوارا لم يهن ولم يضعف ، واضطرت اسرائيل الى الاستسلام والاعتراف بحقوق العرب المشروعة وقيام دولة فلسطين (كان ذلك من تجليات رمضان) .

انتهى فى غرة رمضان ١٤٠١ هـ

عبد المعز خطاب

بلقاس / دقهلية

* * *

فهرس الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٨١/٣٥٣٦

طبع بمطبعة المجـــد